الساسانيون ، وكمشاهد دقيق ومتحمس يصف أعمـــال الموزايكو والقرميد المدهشة فى المساجد وعظمة المبانى التاريخيـــة ويفكـــر ماخوذا بجمال المدينة « كل هذه العظمة ... كل هذا الجمال ، من الخير للحكمة أن تظل صامتة فى حضـــرتها ، ولكن حتى فى هذا المكان » فى هذه المدينة الفريدة فى العالم ... مدينة الفن والمجد والخمر والرسم وأعمال الميناء والعمارة والزراعة ، ذات القباب من القرميد السماوى « يستريح حنينه عند خرائب معبد نار ساسانى بنى فوق قمة التل ، وعندما يجلس الفلاح الذى كان يروى الأرض الواقعة أسفل التل بلحيته البيضاء وجلبابه الأزرق المصـــنوع من قماش اليقرم ، ويبدأ فى رواية الحكايات المتعلقة بمعبد النار يسأل هدايت نفسه : « هل هذا كله صحيح ؟ أو أن هذا الرجل قصـــاص ماهر ؟ أو أنه يمثل أهل تلك الفترة التى كان فيها هذا التل وهذا المعبد آهلين بالسكان ؟ كم هى عظيمة ومخيفة وغامضة ... ايران » وعند رحيله يقول أود الآن لو أعود القهقرى .. اننى أحس كما لو كنت قد فقدت شيئا ... كأن شيئا ضاع منى .. ماهو هذا الشـــىء ؟ لست أدرى .. ربما تركت جزءا من وجودى هناك ... فى معبد النار ذاك » .

وفى الابتسامة الأخيرة يشهد القارىء لقاء تاريخيا يســتعيد فيه روعة ايران القديمة ومجدها والحياة الأرستقراطية الساسانية التى حطمت ، ويحتوى المشهد على لقاء سرى بين كبار أرباب المناصب والقواد من البرامكة لكى يقوموا بتدبير مؤامرة ضد الخليفة هرون الرشيد ، كان البرامكة وزراء عند العباسيين وفى رأى لهدايت « لقد ساير برمك وأولاده الخليفة واعتنقوا دينه كى يقوموا بالتأثير على أفكاره ومعتقداته ويضعفونها وفى النهاية يحطموا دينه ويعيدوا بناء معبد النوبهار ويقوموا بدعوة الناس الى البوذية ويحرضونهـــم ضد الخليفة ، كانوا يحاولون كسب ثقة العرب من أجل هذه النهاية « هذا الحب العميق الذى يكنه هدايت لمواطنه يدفعه الى شن هجوم